

نبذة عن حياة لسان الدين بن الخطيب (ت 776 هـ)

كان القرن الثامن الهجري في مملكة غرناطة بالنسبة لدولة التفكير والأدب ، عصر النضج والازدهار ، وفيه ظهرت طائفة من أكابر المفكرين والكتاب والشعراء ، الذين أعادوا روعة الأدب الأندلسي في أعظم عصوره ، أمثال ابن خاتمة شاعر المرية ، والوزير ابن الحكيم اللخمي ، والوزير ابن الجياب ، والوزير ابن زمرك ، وابن لب ، وأبي الحسن النباهي وغيرهم ، حفل بهم هذا العصر ، وزخرت دولة التفكير والأدب بآثارهم التي انتهى إلينا منها الكثير . وكان ابن الخطيب من بين هذا الحشد الحافل ، أعظم شخصية ظهرت بالأندلس في القرن الثامن . وكان عبقرية متعددة النواحي ، فهو طبيب ، وفيلسوف ، وهو كاتب وشاعر من الطراز الأول ، وهو مؤرخ بارع ، وهو أخيراً وزير وسياسي ، ثاقب النظر قوى الإدراك.⁽¹⁾

وهو لسان الدين أبو عبدالله محمد بن عبد الله [بن محمد بن محمد بن عبدالله] بن سعيد بن عبدالله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني ، والسلماني نسبة الى سلمان، وهو حي من مراد من عرب اليمن القحطانية، وكان لسان الدين يكنى " أبو عبدالله" ، هاجروا إلى الأندلس وسكنوا قرطبة وانتقلوا إلى طليطلة وبعدها إلى مدينة غرناطة ، لقب بعدة القاب منها : لسان الدين ، وهو من الألقاب المشرقية التي كانت شائعة في عصره وخاصة في مصر . ولقب بالخطيب نسبة إلى أسرته التي عرفت باسم آل خطيب لكون جده سعيد كان خطيباً في مدينة لوشة " ، وايضاً كان يلقب بـ " ذي الوزارتين ، لأنه جمع بين الوزارة والكتابة " ، وكان لقبه كذلك " كان يعرف بيته بـ " بيت الوزير " (2) . لأنه كان بيت علم وشرف وسيادة ونفوذ .

ولد ابن الخطيب في قرن الرابع عشر بمدينة لوشة في (٢٥ رجب ٧١٣ هـ / ١٦ نوفمبر ١٣١٣ م) ، وتقع هذه المدينة على بعد (٥٥) كلم غرب غرناطة ، وهي إحدى المدن الأندلسية الشهيرة أيام حكم الإسلامي ، وقد استولى عليها الإسبان خلال حروب الإسترداد ، قبل سقوط غرناطة بقليل (٨٩١ هـ / ١٣٨٦ م) ، وهي الآن مدينة اسبانية ، وقال لسان الدين رحمه الله ايضاً في حق والده ما حاصله : عبدالله بن سعيد ابن عبدالله بن سعيد بن احمد بن علي السلماني أبو محمد ، غرناطي الولادة والإستيطان ، لوشي الأصل ، طليطلية قرطبية⁽³⁾ .

ابن الخطيب نشأ في رعاية والده في غرناطة وتلقى علومه على عدد من شيوخ العصر وأكابر العلماء ، وتنوعت ثقافته ، وكثرت علوم التي تلقاها ما بين الطب والحكمة من جهة والشعر والموشح من جهة ، إضافة الى فنون وقضايا مختلفة متعددة ، وايضاً تدرج لسان الدين في الخدمة السلطانية كاتباً مع ابيه وأخيه في ديوان السلطاني⁽⁴⁾ . ونشأ لسان الدين على حالة حسنة سالكا سنن أسلافه ، فقرأ القرآن على المكيّ ، الأستاذ الصالح أبي عبدالله بن عبد الولي العوّاد ، تكتّباً ، ثم حفظاً ، ثم تجويداً ، ثم قرأ القرآن ايضاً على استاذ الجماعة أبي الحسن القيحاطي ، وقرأ عليه العربية ، وهو أول من انتفع به ، وقرأ على الخطيب أبي القاسم بن جزي ؛ ولأزم القراءة العربية والفقه والتفسير على الشيخ الإمام ابي عبدالله بن فخار البيري ، نبغ لسان الدين في القرن الثامن الهجري وكان اعجوبه عصره في الجمع بين السياسه والادب ، والشعر والنثر يوصف بأنه أبرع كاتب أخرجته الأندلس في عصورها الاخيرة ، لم تقف كتابته على الرسائل بل كتب في التاريخ والطب والموسيقى ، برع في الكتابة بفن السجع ولم يلتزمه دائماً ، وكان له مقامات في الرحلات ووصف البلدان شغل منصب كاتب ثم رئيس كتاب⁽⁵⁾ .

(1) الإحاطة في اخبار غرناطة: 30/1-31

(2) م. ن : 18/1

(3) دفتار الأندلسية في الشعر والنثر والحضارة والإعلام: ٥٨٨ .

(4) الإشارة الى أدب الوزارة: 11

(5) ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض: 187

ولقد ((أخذ الادب والشعر عن الوزير ابي عبد الله بن الحكيم اللخمي، وعن ذي الوزارتين الرئيس ابي الحسن بن الجياب، امام النظم والنثر في عصره، وعن ابي سعيد فرج بن لب وغيرهم ودرس الطب والفلسفة على حكيم العصر والفيلسوف فهو الشيخ ابي زكريا يحيى بن هذيل، واختص بصحبته وكانت طب والأدب من منثور والمنظوم، أبرز ما تفوق فيه ابن الخطيب منذ حداثة، وكان ابوه عبد الله بن الخطيب يشغل يومئذ مركز في القصر في خدمه السلطان ابي الوليد اسماعيل يصفه ابن خلدون بأنه (الاشراف على مخازن الطعام)، ولكنه تقدم فيما بعد في خدمه السلطانية، وتأثر ابن الخطيب منذ صباه بهذا الافق السلطاني الذي عاش والده في كنفه، وتطلع الى غزوة، فلما توفي والده سنحت الفرصة المرجوة، ودعى للخدمة مكان ابيه، وكان يومئذ فتى في الثامنة والعشرين من عمره، وتولى أمانة السر استاذه الرئيس ابي الحسن بن الجياب الوزير السلطان ابي الحجاج وكاتبه الاثير، وتلقى ابن الخطيب في ديوان الانشائي على يد استاذه كاتب الشاعر المبدع ابن الجياب. توفي ابن الجياب في الوباء الكبير او الطاعون الحارث في شوال سنة 749. خليفه ابن الخطيب في رئاسة الكتاب ورياسة الديوان الانشاء ومنحه السلطان ابو الحجاج يوسف رتبة الوزارة وألقابها،...حب السلطان له جعله اكثر ثقة به في سره وفي كل شيء.))⁽¹⁾، لأن ابن الخطيب ذكي ، ولما توفي السلطان ابو الحجاجي يوسف قتيلا في عيد الفطر (٧٥٥هـ) خلفه في الملك ولده السلطان "محمد الغني بالله" واستمر ابن الخطيب في معاونة الوزير ابي النعيم الرضوان على خدمة السلطان الجديد كما تولى في الابناء القصر للسلطان المتوفي ثم قام بسفارة إلى السلطان ابي عنان المريني عام 755 ولقد نجح ابن الخطيب في مهمته هذه نجاحا عظيما، لكن بعد ثورة غرناطة سنة (٧٦٠هـ - ١٣٥٩م) حين هرب "الغني بالله" الى واد "آش"، وعليه فأصبح ابن الخطيب لا يملك من الأمر شيئا، غير أنه حاول لأن يستميل السلطان الجديد فقبله في وزاره مؤقتا، ثم تشكك بعد قيل في نواياه بتحريض منافسه وحساده فقبض عليه، وصادر املاكه⁽²⁾، وبذلك فقد ابن الخطيب جاهه ونفوذه بل ومتاعه بين عشية وضحاها.

وترك لسان الدين مدينة غرناطة ((مع محمد الخامس من سنة 761 الى 763 وبقي في المغرب بعد انقلاب حصل على محمد غني بالله فلما عاد الامير الى غرناطة بعد ان تدبر امور نفسه عاد معه اثيرا لديه كما كان ولكن لسان الدين غادر غرناطة سنة 773 دون ان يعلم الامير بوجهته واستقر في المغرب في حال تشبه حال اللاجئ السياسي كما نقول اليوم وكان لسان الدين قد احس تالم عليه من قبل القاضي النباهي وتلميذه ابن الزمرك وكان صديقين قديمين وخشي ان يصيبهم من الامير سوء فهرب بنفسه ثم لحق به اهله واولاده الى المغرب))⁽³⁾،...بعد ان انتقل ابن الخطيب الى المغرب ، ((تم احراق كتبه في ساحة غرناطة الكبرى في منتصف سنة ٧٧٦ هـ ، بحضور من الفقهاء والمدرسين من العلماء بحجة أن كتبه تضمنت ما يخالف الشرع ، فقبض على لسان الدين من قبل السلطان المغربي احمد بن سالم، وسجن))⁽⁴⁾ وأنه لم يأمن من شر هذه المحنة وأحس بأنها نهاية، وأنه لا مفر، فأبكى نفسه فهو في السجن ببعض الأبيات⁽⁵⁾، منها:

(1) الإحاطة في أخبار غرناطة: 1/ ٢١-٢٢.

(2) الإشارة الى أدب الوزارة: ١٤-١٥.

(3) في الأدب الأندلسي : ٣٦٨.

(4) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر: 452/7

(5) الإحاطة في أخبار غرناطة: 4/551.

بَعْدُنَا وَإِنْ جَاوَرَتْنَا الْبَيْوْتُ
وَأَنفَاسُنَا سَكَّتْ دَفْعَةً
وَجِئْنَا بِوَعْظٍ وَنَحْنُ صُمُوتٌ
كَجَهْرِ الصَّلَاةِ تَلَاهُ الْقُتُوتُ
وَكُنَّا عِظَامًا فَصِرْنَا عِظَامًا
وَكُنَّا نَقُوتُ فَهَذَا نَحْنُ قُوتٌ

فبعد أن أُدخل سجنه أُجريت مفاوضات أُفتى فيها بعض الفقهاء بقتله، ففس له سليمان بن داود بعض من حاشيته و مجموعة من أهل الأندلس الذين جاؤوا في الوفد، فطرقوا السجن ليلاً فقتلوه خنقاً، وأخرج في الغد من ذلك ودفن في مقبرة باب المحروقة، ثم أخرج وأحرق وأعيد إلى حفرته، بإجماع من مختلف المصادر.

أما ثقافته فقد برع لسان الدين في الشعر والنثر وكثرة التأليف وغازره الانتاج في الشعر سيطر عليه في جانبين: الوجدانيات الخاصة به من شعر ذاتي، كالتأمل والغزل ووصف الطبيعة الاندلسيه والتعبير بالشعر عن جوانب الحياه وما يخص نفسه واسرته وحياته الخاصة، والجانب الآخر: استخدم الشعر وسيله للاتصال بالعالم الخارجي وخصوصا شعر المديح الذي كان يقدمه الى البلاط في المناسبات والاعياد والاحتفالات والشعر الذي يصور الاحداث العامه والسياسيه. أما في الكتابه كان اسلوبه موجها الى الصناعات اللفظيه اذ كان يعنى باللفظ. ويقصد الى التتميق والتعمد السجعي ويطيل في ذلك اطاله تدعو الى الملل. والتكلف والميل الى الاطناب فكثير ما كانت معانيه قليله والفاظه وجمله كثيره، فكانت الاجابة عنده في الاحاطة والاطناب وكانت له منزلة عظيمة ترجع الى كثرة مؤلفاته.⁽¹⁾

ففي ما قيل عن ابن الخطيب: الحنبلي(١٠٨٩هـ) قال: ((هو الوزير الشهير الكبير الطائر الصيد في المشرق والمغرب المزمري عرف الثناء عليه بالعنبر والعبير المثل المضروب في الكتابه والشعر والطب ومعرفه العلوم على اختلاف انواعها ومصنفاته اعترف له بالفضل اصحاب العقول الراجحه والاحلام)).⁽²⁾ وقد قال ابن خلدون عنه: ((كان الوزير ابن الخطيب آيه من آيات الله في النظم والنثر والمعارف والادب، لا يسجل مداه ولا يهتدي فيها بمثل هداه)).⁽³⁾

وقال ابن مخلوف(١٣٦٠هـ) ((البارع الاديب الالمعي الأريب الشهير الذكر الجليل القدر المتبحر في العلوم الحامل لواء المنثور والمنظوم صاحب الفنون المنوعه والتاليف العجيبه ذو الوزارتين)) وأيضا قال المقرئ: بعيدا عما قاله عنه، يكفينا انه ألف حوله كتابا (نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب)⁽⁴⁾ وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب.

(1) كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدباج: 84/2

(2) شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ٤٢٢ / ٨

(3) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: 330/١

(4) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: 2/ ١٩٤

المبحث الأول : مادة كتاب جيش التوشيح

مادة كتاب جيش التوشيح

أشار بعض الدارسين وهم يتناولون الموشح ، لوناً شعرياً لا شأن له بالنقد، إلى مؤلفات للأقدمين إما للإشارة إلى أنها قد تجاهلت هذا الفن ، أو أملت به مثلما فعل د. سيد غازي في مقدمة ديوان الموشحات الأندلسية أو د. زكريا عناني في مؤلفه "الموشحات الأندلسية" أو شيترن في كتابه الموشح الأندلسي" .. لكنها إشارات وحسب، فلم تقف على النصوص الواردة في تلك المصادر التي استشهدوا بها ولم يسردوها كاملة ، ولا نظروا في قضاياها، ولكن مجرد إشارات عابرة فقط ومجتزأة وغير مستفيضة كما فعلنا في هذه الدراسة. ثم إنها لا تتجاوز الصفحة أو الصفحتين أو الثلاث.

وقف بعض المحدثين أمام قضايا تمس هذا الفن من حيث وزنه وقافيته وموضوعاته، ليس من باب النقد ولكن من باب إبراز تلك القضايا وكانوا مع جهدهم ، بعيدين إلا من حيث استضافتهم لبعض الآراء التي أوردتها الدراسات حيث اتفقت مع الآراء السديدة وعضدتها في حين ردت الآراء الشاردة وعارضتها، كما أن بعض العنوانات في بعض المباحث، تنفق مع جهد بعض النقاد كمبحث أصل الموشح مثلاً ، فلم تتردد في الكشف عن سداد الآراء التي وردت في هذه الجهود، ولم تقف مع موافقتها لتلك الآراء حبيسة التكرار ولكنها اتخذت طريقها الذي رسمته لنفسها مفيدة مما تجده أمامها وسالكة سبيلها المرسوم لها.

أن الخطة التي انتهجتها قد اقتضت طبيعتها أن تبدو بشكلين اثنين: الأول: أن عملي يمكن أن يسمى بـ "نقد" "النقد" ، من خلال رصد آرائهم ومناقشتها لأبرز جهد الأقدمين أو المحدثين في قضايا تناولها.

الثاني: ولقد حاولت الدراسة أن تستقصي ، ماوسعها الاستقصاء ، كل رأي وجدته أمامها يمس الموشحات أو أصحابها ، لاسيما الأقدمين لكون الرأي منهم مهم في سبيل تأشير نصوص نظرية نقدية قديمة شبه مكتملة، ومفهوم الناقد الذي تعاملت معه الدراسة واسع إذ كل رأي يدخل في صميم عملي ولو لم يكن العبه ناقداً لأن المهم رأيه النقدي الذي يمس الموشحات أو أصحابها بحكم أو إشارة، وكان لا بد من النظر إلى المشرق ومؤلفاته والأندلس والمغرب ومؤلفاتها ومن ثم نظروا إلى المستشرقين ومؤلفاتهم الترجمة.

تناول الموشحات قد "تنوع لدى الأقدمين ما بين مختص بها اختصاصاً لا يتجاوزها إلى غيره وغير مختص جاء اهتمامه بها اهتماماً عرضياً، إما في سياق الترجمة لأصحابها أو في سياق الاستشهاد بها ضمن كتب أدب عامة تؤرخ وتختار للأدب عامة، إذ أن اهتمام أصحاب التراجم انصرف إلى الاستشهاد بالموشح في مدة متأخرة وذلك في القرن السادس الهجري بعد أن تأكّدوا أن الموشح أصبح ذا حضور واضح تؤلف فيه الكتب المختصة به"¹ ، ومن قبل تحاشت الإشارة إليه حين ترجمت لأوائله .

وكان المشاركة أسبق من المغاربة في الترجمة لرجالها والاستشهاد بنصوصهم، كما أن الكتب المختصة بالموشح جاءت أولاً من لدن المشاركة في الوقت الذي كان فيه الأندلسيون متهيبين منه.⁽²⁾ أن كتب الأدب العامة قد أسهمت في حفظ نصوص هذا الفن ورعايته لاسيما بعد أن أثبت ذاته وحضوره وكان الأندلسيون والمغاربة هم أصحاب هذا الاهتمام أكثر من سواهم.

بسبب غياب الإشارة إلى الوشاح أو الموشح من لدن كتب التراجم الأولى في المشرق والأندلس إنما كان يعني أن المصطلح لم يكن قد استقر وكان مصطلح شاعر هو المسيطر على ما عداه من مصطلحات، ولم يلبث أن أصبح مع تقدم الزمن مصطلحاً مستقلاً يختلف عن غيره من المصطلحات ويستعمل بدقة.

لقد كان اختيار الموشحة في الكتب القديمة عامة كان يخضع لشروط أهمها: الشهرة والجودة والفرادة وقد شفع للوشاح المقل في الاختيار جودة ما عنده كما أن الأقدمين متفقون على أن هذا الفن نتاج أندلسي خالص وأن الموشح بإرادته قد جعل خرجته مركبة من ألفاظ عامية وعجمية منتقاة من البيئة التي كان يعيشها ، وبحسب ما كان يجيد من تلك اللغة الدارجة . لا لأن هذه الألفاظ فعلت فعلها في خلق الموشحة ككل، ولا لأنها أثرت في ابتكار الموشحة.⁽³⁾

1 تاريخ تأدب اندلسي 107

(2) ينظر : الموشحات الأندلسية : 189

(3) ينظر : الموشحات الأندلسية : 64

أن نص ابن بسام الذي اتهم برفضه للموشح يعد في نظرنا نصاً تأسيسياً مهماً لا يمكن لأي ناقد أن يستغني عن إشارات الثرية، وقد امتد أثره إلى من جاء بعده كابن سعيد وابن خلدون والمقري.

إن الناقد القديم كان يطلق نقده على الوشاح مرة وعلى الموشح مرة أو يخص المتلقي مرة أخرى ليس علانية التفريق بين هذه الأطراف وإنما كان يشعر ضمن أن النقد أحدهم يعني نقداً للآخر دون ما فرق أو أن جنوحه ذلك لا يعني أنه من حاز لطرف ورافض الآخر.

إن إشارات الأقدمين ذات النية الحسنة كإشارة ابن بسام إلى خروج الموشح عن أوزان العرب أو إشارة ابن سناء الملك إلى أن الكم الغفير منه لادخل الأوزان العرب فيه، فهتم خطأ وكان من نتائج هذا المفهوم المخطئ اعتبارها داخلة في أوزان غير عربية علماً أن الاختلاف بين، والالتكاء على وزن عجمي أثر في الوشاحين أمر مستبعد جداً لأن الثقافة الأدبية التي تربي عليها الأندلسيون شعراء ووشاحين سواء أكانت دماؤهم عربية أم مهجنة هي عربية، ولم تسمع بشعر آخر كان متداولاً آنذاك وإلا ما سر سكوت المصادر عن ذلك؟⁽¹⁾.

أن مصطلح "موشح" استعمل أول ما استعمل في الغناء وكان الكندي أول منظر له وحين انتقل زرياب إلى الأندلس نقل غناء الموشح، وهناك نشأ هذا الفن وأطلق عليه هذا المسمى انتقالاً من الغناء وهي أقرب من انتقالها من حيز المعجمات الدالة على كرزين من لؤلؤ وغيره.

أن في إشارات الأقدمين وممارساتهم النقدية ما يستطيع أن يضيء جوانب من مناهج النقد الحديث لو أننا تأملناها بعين منصفة وينبغي إلا ننبهر بالآخر الوافد، ونبخس نقادنا الأجلء ما أسهموا به في هذا المجال. إن النقد القديم للموشحة اتسم بالانطباعية والشمول والذوقية والعموم والسرعة والإيجاز في طابعه العام، وفي طابعه الخاص كانت تنبجس منه ملامح للموضوعية أو الجمالية والفنية لكن ذلك ورد في ظل الطابع العام أحياناً وأحياناً نادرة وقفاً وقفاً متأنية أمام تلك الملامح كما فعل الأفراني، وهو الطابع نفسه الذي كان سمة العقلية العربية الناقدة عموماً. أن المادة النقدية القديمة للموشح شكلت شذرات متفرقة ومشتقة لاسيما في كتب التراجم والأدب العامة لأنها لم تكن مختصة بهذا الفن ورجاله دون سواهما.

أن ابن سناء الملك يعد أبرز ناقد للموشح باحثاً عن أسرار الشكليات والوزنية والموضوعية واضعاً يده على أهم ما يميز هذا الفن وفارضاً أثره في تابعيه حتى عصرنا هذا.

إن "المحدثين كانوا أوسع أفقاً من القدماء بحكم ما يفد على ساحتهم الثقافية عامة والأدبية النقدية خاصة من روافد يومية، وثقافات متعددة، ومع هذا فإن إشارات الأقدمين لم تكن تخفى في تناولهم للموشح وتنظيراتهم بشكل أو بآخر مما يجعل العلاقة بين القديم والحديث علاقة تواصل وأخذ وعطاء واتمام وإكمال لما بدأه الأولون"⁽²⁾. أن بعضاً من القضايا الحديثة للموشح مع أنها مهتمة بنقد هذا الفن إلا أنها ارتبطت بهواجس حضارية خاصة من لدن المستشرقين، ولذا فإن الحذر مطلوب حين استلهم آرائهم لما تحملت من رغبات تطمح إلى ادعاء ملكية هذا الفن وطمس معالم عربية فيه، وبأسلوب فيه من المغالطات النقدية الشيء الكثير.

أن الخرجة التي تعد الحجة الأكثر أهمية لدى المستشرقين ومن تبعهم في سبيل الادعاء بأن تراثاً ما كان وراءها وهو المؤثر في شكل الموشح وهيئاته لاتصمد أمام الحقيقة التي يعجزون فيها عن الإثبات بدلائل قديمة أو نماذج تؤيد مثل هذا الادعاء الباطل.

أن قافية الموشح عربية وموضوعه عربي وتفعيلاته عربية، وبعضاً من أوزانه خليلي ووزنه الآخر عربي مولد من المؤلف، وليس هناك شعر آخر أو وزن أثر في الموشح ذي الثقافة العربية الأصيلة، وخروج بعضه عن الأوزان المؤلفين لا يعني خروجه عن أوزان العرب ولا دخوله في أوزان العجم، حيث إن امكانيات الوزن العربي واسعة وقد خلق منها الوشاح وبحرية لا تعرف الضبط أوزاناً عديدة، ليست موافقة للمؤلف لكنها ليست خارجة عن أفق الوزن العربي.⁽³⁾ أن ادعاء بعض المحدثين بأن الأوزان غير المؤلف كانت لو شاحين غير عرب، فلما قلدهم العرب بنوها على وزنهم ادعاء مردود جملة وتفصيلاً، لأنه نابع من جهل بأوائل الوشاحين الذين لا نشك في ثقافتهم العربية الأصلية كمقدم وابن عبد ربه

(1) ينظر الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : 2/2

(2) في الدب الاندلسي: 72

(3) ينظر: الأدب الاندلسي موضوعاته وفنونه: 86-87

والرمادي وابن ماء السماء .. وهو كذلك لا يقوم على منطق سليم لأن الموشحات الأولى كسدت ، ولم نعلم وزنها ثم إنه يفسد حين نعلم أن الوشاح له موشحات موزونة وموشحات بأوزان غير مألوفة، فهل كان نصفه عربياً، ونصفه الآخر غير عربي؟ أن الأصل اليمني حظي في هذه الدراسة باهتمام ملحوظ حيث كانت الآراء من قبل نتحاشاه ومع ما فيه من أدلة منطقية إلا أنه في الأخير يصب مع الأصول الأخرى في رفا الأصل العربي كله، أن الموشح عربي الأصل ليس لأن هناك نماذج في الجاهلية أو الإسلام أو الأموي أو العباسي أو في اليمن ولكنه عربي لأن الحضارة العربية في الأندلس أنتجت بعد أن قامت بصهر معطيات لا حصر لها، وكان من نتيجة ذلك الصهر أن برز هذا اللون من النظم بنكهة جديدة هي نكهة حضارتنا العربية حين تفاعلت مع البيئة الجديدة بمعطياتها السابقة والجديدة وكانت ذات مرونة فاعلة كما هي سمتها دوماً.

والفضل في بروز هذا الفن لا يعود إلى مؤثرات من هنا وهناك وإنما الفضل لحضارتنا التي هضمت كل ذلك وبعثته من جديد وطبيعي أن نلتبس فيه مؤثرات لكنها مؤثرات وحسب. أن البلى الذي أصاب الموشحة لم يكن بادياً على عصور ازدهارها حتى عصر الموحدين، وإذا كان من بلى فلم يكن إلا في عصور متأخرة حيث لم يخمد الموشح وحسب وإنما خمد الأدب عامة وكان ذلك مرهوناً بالأخطار المهددة للبقاء العربي هناك.¹

ان محاولة وضع عروض دقيق يشمل الموشحات كلا ويحضرها كاهه امر صعب، لان حريهة في خلق تراكيب وزنية جديدة كان هو المسيطر. ولا يتناقص هذا مع القول بأنها داخلية في الوزن العربي ذ إنها مع دخولها فيه وتعددها يؤدي إلى العجز عن وضع ضابط لها. كما ذكرنا في المصادر السابقة.

المبحث الثاني: هدف ابن الخطيب في تأليف الكتاب

هدف ابن الخطيب في تأليف الكتاب

لا شك أن لكل كتاب هدف خاص في تأليفه يوم يقوم به الكاتب، ويوضّمه في مقدّمة كتابه وكان العلماء القدماء في مقدماتهم يضمنون ذلك، في كلمات أو يصوغونها، في عبارات مختصرة ومفيدة، وإذا وقفنا على هدف لسان الدين بن الخطيب تأليفه كتاب جيش التوشيح، فقد استهدف من كتابه أحكام المعرفة بالموشحات التي حظيت وما زالت تحظى بمكانة مرموقة اهلتها لأن تكون عقدا ناصعا، يتألق في عنق أدبنا العربي القديم والحديث، أو تكون غصناً رطيباً جادت به الطبيعة الأندلسية الغناء حينذاك وما يزال ينضح بالرقة والعبق والعذوبة، ويذكرنا دوماً بطبيعة الأندلس ولياليها العامرة بالأنس والطرب والغناء.

وإذا كان القدماء - مشاركة ومغاربة - قد اعترفوا بفضل الأندلسيين في اختراع هذا الفن ورحبوا به وعدوه مما ترك الأول للآخر، ومما أغرب به أهل المغرب أهل المشرق، فإن النظرة المملوءة بالإعجاب إلى هذا الفن ما تزال ماثلة إلى اليوم.⁽¹⁾ فلقد أعجب الأقدمون بهذا الفن وهم يستمعون إليه ولقد عبروا عن إعجابهم بطرائق عدة تعدى في جانب منه التصفيق وشق مصونات الجيوب والقلوب، وعبارات من مثل: (الله درك، وواطرباه) إلى تسجيل جوانب تمس هذا الفن وتمس مبدعيه، وإلى رصد لقضاياها المتنوعة وبحث عن أسرار الشكلية والوزنية والموضوعية وعن أسرار مبدعيه وخصائصهم الإبداعية، إما في سياق كتب التراجم العامة أو كتب الأدب والتاريخ أو في سياق كتب اختصت به وبقضاياها. وبالمثل فإن المحدثين لم يقلوا إعجاباً به عن القدماء ولقد انصرف هذا الإعجاب إلى رصد قضاياها رسداً بدا في جانب منه مخلصاً، هدفه الكشف عن أسرار هذا الفن وجمالياته، وإبراز قضايا خلافية فيه، لكنه بدا في جانب آخر منه رسداً يحمل في طياته نوايا محمومة بهاجس حضاري يود لو يسلب الآخر فضله في الإبداع في سبيل إثباته لنفسه، وقد أدى مثل هذا القصد إلى الخوض في آراء بعضها حق وبعضها الآخر زيف وباطل! ولا شك أن فاقده الهدف يفقد الإرادة أيضاً، وأيضا لسان الدين بن الخطيب هدف أكثر من هذا في تأليف كتابه الجيش التوشيح فهو:

قبل ذلك جمع ابن الخطيب مجموعة مختارة من موشحات ائمه التوشيح الأندلس، مثل ابن بقي وابن للبانة والأعمى تطيلي، وعباده القزاز وابن اللبون وابي بكر السراقسطي وغيرهم، في كتاب ((سماه جيش التوشيح) والظاهر انه قام بتصنيفه اثناء مقامه بالمغرب برسم امير او سلطان حسب ما يبدو ذلك من ديباجته القصيره، ويبدو ان جيش التوشيح اثار دويا ضخما في زمانه ذلك اننا نجد جهبذا من جهابذة الادب المغاربة في القرن العاشر هو وزير القلم عبد العزيز بن محمد فشتالي، مصنفه وشاح كبير انتهت اليه رئاسه التوجيه في زمانه فهو ذواقه له وزنه الكبير فيما اختاره وانتقاه، قام بتأليف هذا الكتاب وهو اكبر مجموعه من الموشحات الاندلسيه طبعت حتى اليوم. لأن موشحه 165 موشح، وهو اكثر من اربعة اخماسها ضائعة))⁽²⁾ لا وجود لها في اي مرجع اخر.

وهدف الآخر في تأليف هذا الكتاب رتب كتابه ترتيبا موضوعيا فأفرد لكل وشاح ترجمه اتبعها بمختارات من موشحاته وهذا الترتيب لم يفعل قبله بل هو اول من فعله، واما ما أثبتته ابن الخطيب في كتابه هذا هو موشحات أندلسيه وهدفه كما تكشف عن كثير من العلاقات بين بعض الوشاحين وامراء عصرهم، ومن أهدافه أنه يضع مادة دسمية للباحثين عن اسلوب كل وشاح وخصائصه الفنية بشكل مختصر قام ابن الخطيب بجمع الوشاح او الوشائح العلماء وقام بترتيب كل منهم. وفي هذا الكتاب مجموعة طيبة من الموشحات اكثرها مشرقية وبعضها مغربية كثير منها لم تذكر اسماء قائلها. وقد لاحظنا انه ينقل بعض نصوصه عن كتاب - عقود المثال في الموشحات والازجال الشمس الدين النواحي - "ويبدو أن جيش التوشيح اثار دويا ضخما في زمانه ذلك اننا نجد جهبذا من جهابذة الادب المغاربة في القرن العاشر هو وزير القلم عبد العزيز بن محمد الفشتالي (٩٥٢ - ١٠٣٢ هـ) يذيل عليه بكتاب سماه - مدد الجيش - ذكر فيه ازيد من ثلاثمائة من موشحات اهل عصره من المغاربة اغلبها مما قاله الوشاحون في أمير المؤمنين المنصور ابي العباس احمد الشريف الحسني وما قاله امير المؤمنين المذكور من موشحات وقد أورد المقرئ في نفع الطيب نخبة طيبة من موشحات مدد الجيش"⁽³⁾، وقد ضاع هذا الأثر فيما ضاع من تراث المغاربة .

(1) الموشحات الأندلسية: 189

(2) دار الطراز في عمل الموشحات : 102

(3) موشحات لسان الدين ابن الخطيب: 115

تلك هي المامة سريعة بأهم مصادر الموشحات عبر العصور ، وهي المامة تؤكد ان لجيش التوشيح مكان الصدارة في الموضوع .

يمكن اجمال اهمية الكتاب والاشياء الجديدة التي يقدمها في الآتي : "أن مصنفه وشاح كبير انتهت اليه رئاسة التوشيح في زمانه ، فهو ذواقة له وزنه الكبير فيما اختاره و انتقاه . وكما كانت (حماسة) أبي تمام مصدرا ثرا وخالدا لمختارات الشعر العربي ، لمكانة أبي تمام الشعرية في زمنه ولسلامة ذوقه، وحسن اختياره ورهافة ، ، كذلك أمر جيش التوشيح بالنسبة للموشحات الاندلسية ، وهو عصر ازدهار الموشح ، منهم عشرة وشاحين ضاعت جميع موشحاتهم ولم يبق من تواشيحهم غير ما ضمه هذا الكتاب " ¹، نسب بعض الموشحات المجهولة الى أصحابها الشرعيين مثل الموشح الذي:

أولى : عقارب الاصداع في سوسن غض

فقد نسبه ابن الخطيب الى ابن شرف (الحفيد)، وكان قد ورد في نفع الطيب وفي العذارى غير منسوب لاحد . ورد بعض الموشحات المنسوبة الى غير اصحابها ، إلى قائلها مثل الموشح الذي اوله :

شق النسيم كاماه عن زاهر يتبسم

فقد نسبه الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات وابن شاعر الكتبي في كتابه فوات الوفيات الى ابن اللبانة ، وكشف ابن الخطيب خطل هذه النسبة وردة الى ابن الصيرفي .

رغم أن المصنف سلك في تراجمها التي حلى بها مختاراته الطريقة ذاتها التي سلكها في الكتيبة الكامنة و طريقة قليلة الجدوى من الناحية الاخبارية ، الا انه استطاع ان يضيف جديدا في بعض المواضع ، كما بالنسبة لابي الوليد يونس الخباز الذي لا توجد له ترجمة في أي مرجع مطبوع حتى اليوم كما أضاف معلومات قيمة للغاية عند ترجمته للوشاح احمد بن مالك السرقسطي ، لا وجود لها هي الاخرى في اي مرجع آخر واحمد بن مالك هذا أورد له ابن سعيد في المغرب موشحة.

ومن اهمية ترجمته الواردة في جيش التوشيح ان الموشحات المعروفة مثل : دار الطراز ، وتوسيع التوشيح ، ونفع الطيب ، وأزهار الرياض ، والعذارى المائسات وسواها ، اذ تختلط في هذه المراجع موشحات الوشاحين ببعضها دون ترتيب أو تصنيف، ان جل ما أثبتته ابن الخطيب في كتابه هذا، هو موشحات في القرن السادس الهجري فهي صورة للعصر الذي قيلت فيه ، عصر ازدهار الموشح ، كما أنها تكشف عن كثير من العلاقات بين بعض الوشاحين وأمراء عصرهم .

انه يضع مادة دسمة للباحثين عن اسلوب كل وشاح وخصائصه الفنية تمهيدا لدراسته ووضعها في مكانه اللائق به، لقد كنا نقرأ قبل ذلك ما ذكره الصفدي في توشيح التوشيح مثلا((أن الابيض وبن رافع رأسه والكميت وابن شرف والمنيشي والصيرفي والخباز والجزار و بن لبون وبن رحيم وبن ينيق واحمد بن مالك السرقسطي هم ممن سبق إلى التوشيح ، وسبق إلى الغاية من اهل المغرب))⁽²⁾ هذه الأسماء هم من سبقوا الى التوشيح ، وسبق إلى الغاية من اهل المغرب هم مشهورون عن هذا الجانب.

على انه من الأهمية بمكان الإشارة الى ان ابن الخطيب حتى في اختياراته لوشاحين مشهورين تحرى ان يورد في مختاراته لهم موشحات لا وجود لها في أي مرجع آخر.

وكذلك الأمر مع "ابن زهر ، فقد أورد له ابن الخطيب عشرة موشحات نصفها لا وجود لها في أي مرجع آخر، ويثور شك حول نسبة بعض الموشحات الواردة في جيش التوشيح لاصحابها "³ يمكن تلخيصه في الآتي : - الموشح رقم ٣ واوله : "بأبي ظبي حمي تكفته اسدغيل".

نسبه لسان الدين ابن الخطيب الى ابن بقي، وقد أورد له ابن سناء الملك في دار الطراز ولم ينسبه لاحد ، "وفي مخطوطة المقتطف من ازاهير الطرف لا بن سعيد الورقة ٤١ وعنها نقل ابن خلدون في مقدمته ص ١١٣٨ ما مفاده : ان ابا بكر ابن زهر الوشاح قال : كل الوشاحين عيال على عبادة الفزاز فيما اتفق له من قوله :

بدر تم شمس ضحي غصن تقا مسك شم

1 كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدباج: 86

(2) توشيح التوشيح: 3

3 لسان الدين بن الخطيب: 147

ما اتم ما اوضا ما اورقا ما انم

لاجرم من لما قد عشقا قد حرم

هي وهذه الاشطار من الموشح الذي اوله : بأبي ظبي حمى ومعنى هذا ان ابن سعيد ينسب هذا الموشح لعبادة القزاز . ولما كان ابن سعيد قد توفي عام ٦٨٥ (هـ) فهو اسبق من لسان الدين^(١) وبالتالي قد ترجح روايته بـ ذلك.

الموشح رقم - ١٩ - واوله : "ادر لنا اكواب ينسى بها الوجد واستصحب الجلاس كما اقتضى العهد".

نسبه لسان الدين للاعمى التطيلي وكذلك ورد في ديوانه نقلا عن الجيش، وقد ورد هذا الموشح في دار الطراز دون ان ينسب لاحد ، وفي العذارى المائسات انه لابن بقي، وارى ان الدليل الداخلي يعزز انه لابن بقي، فالممدوح فيه هو يحيى ، والارجح انه يحيى بن القاسم ممدوح ، ابن بقي الشهير.

الموشح رقم - ٢٠ - واوله :

"صبرت والصبر شيمة العاني ولم اقل لمطيل هجراني اليس كفاني".

نسبه لسان الدين للاعمى التطيلي وكذلك ورد في ديوان الاعمى نقلا عن الجيش، " لكن سناء الملك المتوفى سنة (٦٠٨ هـ) نسبه في دار الطراز في عمل الموشحات لابن بقي ، وفي راينا ان نسبه لابن بقي اصوب بالدليل الداخلي ، فمن قراءة النص يتضح انه كتب في (يحيى من بني القاسم) ومن المعروف ان ابن بقي انقطع بعد طول تنقل الى الامير يحيى بن علي بن القاسم وكان يعيش في سلا بالمغرب وانه كتب في الامير المذكور اجود مدائحه"^(٢) فالموشح للسبب المذكور الصق بابن بقي ، كما ذكر ابن الخطيب في الكتاب.

ومسألة الخرجات تنتهي بقول ابن سناء الملك وهو اقدم من حاول ان يقنن قواعد الموشحات قد أكد ان صاحب الموشح هو الذي يعمل الخرجة وذلك حين قال " وقد تكون الخرجة اعجمية اللفظ بشرط ان يكون لفظها ايضا في العجمي سفسافا نطيا ورماديا زطيا ، والخرجة هي ابزار الموشح وملحه وسكره ومسكه وعنبره ، وهي العاقبة وينبغي ان تكون حميدة والخاتمة بل السابقة وان كانت الاخيرة ، وقولي السابقة لانها التي ينبغي ان يسبق خاطر اليها . ويعملها من ينظم الموشح في الاول ، وقبل ان يتقيد بوزن او قافية ، وحين يكون مسيبا مسرحا ومتبجحا منفسحا ، فكيف ما جاءه اللفظ والوزن خفيفا على القلب انيقا عند السمع مطبوعا عند النفس حلوا عند الذوق تناوله وتنوله وعامله وعمله وبنى عليه الموشح لانه قد وجد الاساس وامسك الذنب ونصب عليه الراس"^(٣). ان كلام ابن سناء الملك يؤكد بوضوح ان بعض الخرجات قد تكون اعجمية ولكنها من نظم صاحب الموشح لاسواه .

(١) نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب : 6/7

(٢) دار الطراز في عمل الموشحات: 9

(٣) م . ن : 32

المبحث الثالث: منهج ابن الخطيب في كتاب جيش التوشيح

منهج ابن الخطيب في كتاب جيش التوشيح

لابد ان يكون لكل مصطلح تعريفا لغويا تدل على المفردة، فالمنهج لغة هي كما قال ابن منظور: نهج : طريق نهج : بين واضح وهو نهج، وطرق نهجة وسبيل منهج ك(نهج)، ومنهج، ومنهج الطريق.(1)
اما اصطلاحا فهناك عدة تعريفات، منها: فهو بوجه عام وسيلة محددة توصيل الى غاية معينة.
أو - انه - المنهج - الطريقة يصل بها انسان الى حقيقة او معرفة.(2)
ولا شك ان لكل عالم اسلوب خاص به، يعرف به بين الآخرين، اي من خلال اسلوبه ومنهجه الذي يتبعه في مؤلفاته وصفاته.

" وفي ذكر لسان الدين ابن الخطيب مصادره التي تقدمت مع أسماء الوشاحين أو ذكرها مجرداً من أسماء مؤلفيها، وفي ذكره أسماء الوشاحين الذين أخذ عنهم ورجع إليهم، في ذلك كله ما يدل على دقة في منهجه، إذا أحاط بكل ما يتصل بموضوعه من قريب أو بعيد، وكان امينا في رده القول إلى صاحبه إذا دعت ضرورة بحثه الرجوع إليه وهذه دقة منه وأمانة يحمدها عليها، وعلى النحو الذي كان فيه ابن الخطيب حريصاً على ذكر مصادره، كان حريصاً أيضاً على تحقيق النصوص المختلفة والتثبت منها قبل الحكم عليها"⁽³⁾، وهذا منهج سليم يلتزم به العلماء المحققون، فأول ما يطلب إلى الباحث لكي يكون بحثه علمياً ومنهجه دقيقاً أن يتأكد من أمر النصوص التي يرجع إليها فيوثقها إذا توفرت لديه الأسباب ويتشكل فيها إذا أحوزته الأدلة .

هذه الضوابط المنهجية مجتمعة، من أحاطة بالمصادر، وتحقيق المنصوص وترجيح بين الروايات، تدل على أن ما يشترط في العصر الحديث لكي يكون المنهج علماً دقيقاً، كان ابن الخطيب قد تحققه من قبل وهو بعد أن كفل لمنهجه، هذه الضوابط أخذ يوازن بين الوشاحين، ومن كل ما مر نصل إلى أن : طبق ابن الخطيب في كتاب جيش التوشيح منهجين مهمين:
الأول: المنهج النظري.

الثاني: المنهج التطبيقي وهو الأكثر أهمية في الكتاب.
اما خطت ليسان الدين في التحقيق فقد تحدث محققه عنها في المقدمة بتفصيل، فقد قام صديقه بقراءة مخطوطة حسن حسني عبد الوهاب، وفك غوامضها، ثم املاها على كاتب كتبها نظراً لدقة خطها المغربي وكثرة اخطاء ناسخها.
ومن حيث "قام هلال ناجي بمراجعة هذا الاصل وتصحيح اخطائه واعاد المراجعة على نسخة الزيتونة بعد حصوله عليها، وكان قد بدا في طبع الكتاب، ثم رقم الموشحات بحسب تسلسلها في المخطوطتين، وراجع نصوص الكتاب على المصادر المتاحة له، وشرح بعض الفاضها الصعبة وترجم لوشاحي الكتاب"⁽⁴⁾، وكتب مقدماته، والحق به الاستدراكات والفهارس المتنوعة، وقام بجميع ما استتبعه تحقيق الكتاب ونشره من جهود.

ويضم الكتاب 165 موشحة لسنة عشر وشاحاهم : ابن بقي - الاعمى التيطلي - الابيض - ابن الليانة - ابن رافع راسه - البطليوس الكميت - ابن شرف (الحفيد) - ابو القاسم المنيشي - يحيى بن الصيرفي - الخباز - الجزائر - ابن لبون - ابن رحيم - ابن ينسق - ابن زهر (الحفيد - احمد بن مالك السرقسطي، وهم من وشاحي القرن السادس الهجري، وفي اآخر الكتاب استدراكات قيمة على بعض الموشحات، وهي الموشحات رقم 19 و24 و71 و90.

(1) لسان العرب : 365 / 13

مينظر: منهج البحث الأدبي: 13

(3) الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب: 23

(4) العصر الأندلسي تاريخ وحضارة الأندلسي: 91

وفي مقدمات الكتاب تحقيقات رائعة كتبها هلال ناجي حول نسبة بعض الموشحات، وهي الموشح رقم 3 و 19 و 20 و 21 و 26 و 90 و 97.. وهي تحقيقات متميزة بدقتها : ومن نماذجها مثلا استدراكه على الموشح رقم 19، قال :

أوله – الموشح – ادر لنا اكواب ينسى بها الوجد واستصحب الجلاس كما اقتضى العهد.

نسبه ابن الخطيب للاعمى النطيلي، وكذلك ورد في ديوانه نقلا عن كتاب "جيش التوشيح" وقد ورد هذا الموشح في "دار الطرز" لابن سناء الملك، دون ان ينسبه لاحد. وفي "العدارى المائسات" انه لابن بقی، فالممدوح فيه هو يحيى، والارجح انه يحيى ابن علي القاسم، ممدوح ابن بقی الشهى. وفي آخر الكتاب يستدرك على رواية الموشح برواية فيها بعض تغييرات، ويتحدث هلال ناجي في المقدمات التي صدر بها الكتاب عن أهميته وعن موضوعه وما الف فيه، كما يتحدث في اول الكتاب عن حياة الوزير لسان الدين بن الخطيب الذي تولى ابوه الوزارة لبني الاحمر واستشهد عام 741هـ، "وصعد ابنه لسان الدين الى مرتبة الوزارة، وكان له من الجاه والنفوذ والتلاميذ ما لم يكن لاحد غيره، وانتهيت حياته بغضب ملك بني الاحمر السلطان محمد عليه، بعد ان وشى الواشون به عنده، وهرب ابن الخطيب الى عبد العزيز المريني ملك المغرب عام 773هـ، وسعى ملك غرناطة لادى ملك المغرب لتسليم ابن الخطيب له فابى، وتولى محمد ابن عبد العزيز المريني عرش فاس عام 774هـ مكان ابيه وقد صنع صنيع والده في رفض تسليم ابن الخطيب لملك غرناطة، وتولى عرش فاس السلطان احمد ابن ابي سالم المريني عام 775هـ، وقد وافق على تسليم ابن الخطيب، وحضر وزير بني الاحمر والجلادون من غرناطة الى فاس، واصدروا حكمهم على ابن الخطيب بالاعدام، وفي سجن فاس"⁽¹⁾ قتل ابن الخطيب بعد اتهامه بالزندقة والاحاطة والعمق والشمول والاستقصاء لآثار ابن الخطيب المطبوعة والمخطوطة والتتبع لاوهام الكتاب والدارسين لتراث هذا المفكر الاندلسي الكبير.

ولا ينسى المحقق في عمله العلمي دون ان يقف وقفة متأنية من اجل التحقق من اسم الكتاب، ومن سبته الى مؤلفه، وما اذا كان قد وصل اليها كاملا ام لا، وهو يرجح ان المنشور من الكتاب هو جزؤه الاول فقط، اما جزؤه الاول فقط، اما جزؤه الثاني فمفقود.

وفي المقدمات التي صدر بها المحقق الكتاب بذكر الفروق بين مخطوطتي الكتاب في الخرجات الاعجمية، ويدلي برأيه في هذه الخرجات في الموشحات الاندلسية، ويتناقش آراء المستشرقين فيما ذهبوا اليه من نظريات حول ذلك، ورايه في هذا الموضوع راي سديد ومقنع ومنصف معا، يجب ان يقرأه الباحثون والنقاد باهتمام.

وابن الخطيب يبدا كتابه بمقدمة موجزة غاية الايجاز، ويبدو ان فيها جزءا محذوفا، حيث يبدا كتابه، بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله، بقوله : "ورتبت الكتاب ترتيبا لا يخفى احكامه، وبوبته تبويبا يسهل فيه مرامه... الخ"⁽²⁾. والظاهر ان هنا كلاما محذوفا يتقدم على قوله : ورتبت الكتاب"، يدور الكلام حول التفكير في تأليف كتابه "جيش التوشيح". وبعد المقدمة الصغيرة يبدا ابن الخطيب الحديث عن ابن بقی موشحاته التسع.

ومن مباحث جيش التوشيح ان الموشحات في الاندلس ظهرت في اواخر القرن الثالث الهجري، لكن هذا الفن الشعري الجديد لم يصبح فنا حرا او قائما بذاته. اي يحتاج الى وشاحن عالم وذكي وعبري حتى يقوم بتأليف الكتاب عن هذا الباب، فموضوع جيش التوشيح لابن الخطيب يدور حول هذه النقاط:

١- ١٦٥ موشحا لسته عشر وشاحين المرابطين والموحدين. كما ذكر في الكتاب.
٢- رتب المصنف كتابه ترتيبا موضوعيا فأفرد لكل وشاح ترجمه اتبعها بمختارات من موشحاته وهذا ترتيب يفرد بها هذا الكتاب لم يفعل من قبل هذا ترتيب.

مثال: ابو العباس احمد بن عبد الله، ابن هريرة العبسي النطيلي. ويقول عن حياته: اي آيه اعجاز وتطويل في البراعه وايجاز وألفاظ أرق من الهواء مقسم البدائع بالسواء، طرايق والسماك البديع والمعنى الرائق حتى صار توشيحه مثلا في سائر الناس، والشعر هو المتقدم في شأوا الإجادة سابق ليس فيه لاحق، وله الراجيز حبر اساليبها في شأن الاعجاز اعاجيبها مع تقدم في السرعه الحفظ، يسبق به مسموع اللفظ، وهاك من توشيحه ما يعرف النسيمه ويروقك، ترصيحه وتقسيمه فمن ذلك قوله⁽³⁾

:

(1) جيش التوشيح: 23

(2) الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب: 11

(3) جيش التوشيح: ١٦-١٧

سافرٌ عن بدر	ضاحكٌ عن جُمان
وَحَوَاءُ صَدْرِي	ضَاقَ عَنْهُ الزَّمَانُ
شَقْنِي مَا أَجْدُ	أَهْ مَمَّا أَجْدُ
باطشٌ مَتَّيْدُ	قَامَ بِي وَقَعَّيْدُ
قالَ لي أينَ قَدْ	كلما قلتُ قَدْ
ذا مَهْرٍ نَضْر	وَأَنْتَنِي خُوطَ بَانَ
للصَّبَا والقَطْرُ	عَابَتْنُهُ يَدَانُ
خذ فُؤاديَ عن يَدِ	ليسَ لي مِنكَ بُدُ
غيرَ أَنِي أَجْهَدُ	لم تَدْعُ لي جَلْدُ
واشتياقي يَشْهَدُ	مَكَرَعٌ مِنْ شَهْدُ
ولِذَلِكَ التَّغْر	ما لِيَبْتَ الدِّنَانُ
من مُحْيَا الجمر	أينَ محيا الزَّمان
لَيْتَ جَهْدِي وَفَقُهُ	بي هوى مُضْمَرُ

٣- ما اثبتته ابن الخطيب في كتابه هذا هو موشحات الأندلسية فهي صورة للعصر الذي قيلت فيه، لكن لماذا اختار فقط الموشحات الأندلسية؟ لأن: إنَّ للموشحات الأندلسية أهميةً بالغةً في عصرها وحتى في العصور التالية التي تأثرت بها، ويُمكن تلخيص أهميتها فيما يأتي:

أهمية الموشحات من الناحية اللفظية: برزت أهمية الموشحات من الناحية اللفظية من خلال ما يأتي: ابتعادها عن الألفاظ الغريبة والمتقكرة التي تُضَيِّعُ القارئ في بحر المعاجم بدلاً من الاستمتاع بلذة القصيدة. احتواء الموشحات على ألفاظ البيئة الأندلسية إذ عاد ذلك على الموشحات بفائدة أدبية عظيمة وقيمة. وصف الموشحات للبيئة الطبيعية في الأندلس وذلك من خلال تصوير جمالها وبهائها (1) كما أن أهمية الموشحات من الناحية الموسيقية: كان للموشحات أهمية بالغة من الناحية الموسيقية تمثلت في ما يأتي:

منها مناسبة الموشحات لمجالس الأناجيس والسمر والغناء والفن الأدبي نسج الموشحات على منهج جديد يتمثل بعدم الالتزام بوحدة الوزن والقافية، عدَّ الموشحات بمثابة الثورة العروضية، إذ لم تلتزم بأوزان بحور الفراهيدي وفي ذلك نوع من أنواع تطور الموسيقى العربية. (2) وأما أهمية الموشحات من ناحية الأغراض الشعرية: وردت أغراض عديدة تناولها الشعراء في الموشحات الأندلسية، ولعل من أبرز تلك الأغراض ما يأتي:

إذ يُعدُّ الغزل واحداً من أهم الأغراض الشعرية التي تناولتها الموشحات، ولعل هذا الغزل في صدارة الأغراض الشعرية الأندلسية، ومن أشهر شعراء هذا الغرض: التطيلي الأعمى وابن سناء الملك.

إنَّ "غرض المديح هو من أشهر الأغراض الشعرية التي تناولها الشعراء منذ العصر الجاهلي، ولم يكن العصر الأندلسي والموشحات بمعزل عن هذه القاعدة العامة، فاتخذها الشعراء مطيةً من أجل الوصول إلى عطايا الأمراء والملوك" (3)، ومن أشهر شعراء هذا الغرض كان لسان الدين بن الخطيب.

(1) لسان الدين بن الخطيب ، عصره ، وبيئته حياته وأثاره: 98

(2) البناء الفني للموشح النشأة والتطور: 60

(3) الموشحات الأندلسية: 41.

أهمية الموشحات من الناحية الأسلوبية: تعددت الأساليب في الموشحات الأندلسية، ممّا أسهم في حيوية الموشحات وقيمتها الأدبية، وذلك على النحو الآتي: حسن صياغة الأسلوب، ممّا بيّن قدرة الشعراء على وصف مشاعرهم وتصويرها. استخدام الأساليب البلاغية، وذلك من خلال رسم الصور الفنية الحية. تنوع الأساليب في الموشحات بين خبرية وإنشائية(1)، ممّا أحدث تفاعلاً بين الشاعر والمتلقي.

٤- علاقه بين الوشاحين وامراء عصرهم. مثال ذلك اديب الكبير "داود القيرواني" توفي حدود سنة(٢١٠هـ - ٨٢٥ م): ابو سليمان داود الكاتب القيرواني ، من قداماء اديباء افريقية المجيدين ، ولا نعلم من اسمه اكثر من كنيته ونسبته الى القيروان ، ويظهر أنه قرأ في بلاده وسافر الى المشرق وتقلب بين عواصمه للتزود من العلم والادب ، ثم رجع الى افريقية صحبة الامير محمد بن مقاتل العكي وتقلد ديوان رسائله واختص بخدمته سنة ١٨٠ هـ ، فلما عزل العكي وتولى ابراهيم بن الاغلب امارة افريقية سنة ١٨٤ هـ ، خاف داود على نفسه لما تمالأ عليه من النكر ، واختفى أياماً في بعض النواحي ثم ترجل وكتب بعد وكتب بعد مدة من معقله يستعطف العفو من الامير ابراهيم، كما جاء في كلامه: "أما بعد .. أعز الله الامير - فلو كان احد يبلغ حرصه رضاء بشر بصحة مودة ، وتفقد حق ، وايتار نصيحة ، لرجوت ان اكون بما جبلنى الله عليه من تفقد ما يلزمني من ذلك اكرم عند الأمير منزلة ، وأطفهم لديه حالا ، وابسطهم.... حتى وصل الى : أتم الله على الأمير نعمه ، وهتاه كرامته ، وألبسه أمنه وعافيته في الدنيا والآخرة "، فعفا عنه الامير ابراهيم بن الاغلب واسقط التثريب عليه ، وقبل متابه واستكتبه واكتفى به في مهاته وشاوره في اموره ، وأقام على حال مستحسنة عنده الى ان مات، وكان لداود هذا ولد اسمه ابراهيم اشتهر ايضا بالكتابة وخدم بعد ابيه في الدواوين الاغلبية.(2)

٥- تحديد اسلوب كل وشاح وخصائصه الفنيه تمهيدا لدراسته ووضع في مكانه اللائق به ومع ذلك ذكر حياة الوشاحين بمختصر.

٦- اختار الوشاحين المشهورين في الأندلس، وهؤلاء أسمائهم "الشيخ الأديب الأستاذ أبو بكر يحيى ابن محمد ابن بقي رحمه الله - أبو العباس أحمد بن عبد الله ابن هريرة العبسي التطيلي الضرير الكائن بأشبيلية رحمه الله عليه - أبو بكر محمد ابن الأبييض رحمه الله تعالى - الوزير أبو بكر بن عيسى الداني المعروف بابن اللبانه - الأديب الأستاذ أبو عبد الله محمد ابن رافع رأسه - أبو عبد الله محمد ابن الحسن البطلبوسي المعروف بالكميت - الوزير الكاتب أبو عبد الله ابن الوزير الحكيم ذي المعارف أبي الفضل ابن شرف "رحمه الله" - أبو القاسم المنيشي - الوزير أبو بكر يحيى الصيرفي - أبو الوليد يونس بن عيسى المرسي الخباز - أبو بكر يحيى السرقسطي الجزار الشاعر - الفاضل ذو الوزارتين أبو عيسى ابن ليون رحمه الله - الوزير المشرف أبو بكر رحيم - الوزير الحكيم أبو عامر ابن ينق رحمه الله تعالى - الوزير الأجل الحفيد أبو بكر ابن زهر رحمه الله تعالى - الوزير الكاتب أبو بكر أحمد ابن مالك السرقسطي رحمه الله" .

7- اختار لهم موشحات لا وجود لها في اي مرجع آخر، وعلى سبيل المثال : "ابن بقي" فقد أورد له تسع موشحات منها واحدة فقط معروفة والثمانية الأخر لا وجود لها في اي مرجع آخر. ومثل هذا يقال عن موشحات الاعمى التطيلي فقد اختار له (١٩) موشحة ، (عشرة) منها لا وجود لها في أي مرجع آخر، وكذلك الامر مع ابن زهر ، فقد اورد له ابن الخطيب عشرة موشحات نصفها لا وجود لها في أي مرجع آخر، ويسرى ما تقدم على ابن اللبانه - فقد أثبت له ابن الخطيب (تسع) موشحات (ست) منها لا وجود لها في أي مرجع آخر.(3)

٨- الخرجات ومذهبه فيها والرد عليه. وأن الشيء المهم الذي يقدمه لنا جيش التوشيح في هذا الشأن هو وجود "١٧" خرجة أعجمية فيه ، ولقد أثارت الخرجات الاعجمية منذ اكتشافها اهتمام المستشرقين وعلى الأخص "الاسبان" ومنهم "خوليان ريبيرا" و"متنديست بيدال" و "اميليو غرسيه غوميز" فحاولوا وضع نظرية خاصة حولها وتابعهم في ذلك بعض الاساتذة كالدكتور مصطفى عوض الكريم مؤلف كتاب فن التوشيح.

(1) فن الموشحات الأندلسية مقارنة أدبية فنية: 85-88.

(2) جيش التوشيح: ٤٥ - ٤٧.

(3) نفس المصدر: 56

الخاتمة

الخاتمة

يمكن القول من خلال خاتمة بحث جيش التوشيح للسان الدين مادته و هدفه ومنهجه ، ان جهد ابن الخطيب شيء لا ينسى ولا يقدر لأن حجاج الي كثير البحث والمشي الي التاريخ الشخصيات والشاحين لأن الموشحات الأندلسية لها قيمة كبيرة، لأن تظغى على الموشحات كثرة المحسنات اللفظية ، فحفلت أشعارهم بالمجاز والتشبيه والاستعارات والكنائيات ، قال ابن سناء الملك : ” والموشحات تنقسم قسمين : الأول ما جاء على أوزان أشعار العرب ، والثاني ما لا وزن له فيها ولا إمام .

هنالك الكثير من أنواع الموشحات الأندلسية وكل واحدة تتناول موضوعا معيناً ، ومن أشهر المواضيع في الموشح نجد هنالك على سبيل المثال ، موشحات الوصف كوصف الأماكن و الأنهار والينابيع ، أيضا نجد هنالك قصائد أو موشحات المدح ، هذه الأخيرة أيضا كثيرة جدا وغالبا يتم توجيهها إلى الملوك و الوزراء و كبرى الشخصيات في المجتمع ، موشحات التصوف ، هذا الأخير الذي يعد من أكثر أنواع الموشحات انتشارا ويستعمل للكتابة عن الزهد و الورع و حب الخالق و عبادته ومن أشهر الذين اشتهروا بهذا النوع محي الدين العربي . أن وضوح لغة الموشحة وسهولة تراكيبيها كان السبب وراء عزوف النقد أحيانا لأنه يطمح في الغالب إلى التماس والأكثر تعقيدا من الأسهل تركيباً.

أن الموشح شكل ثورة نقدية واضحة وإن كانت ملامحها في القديم لم يتوهج غبارها بشكل مسموع لدى المشاركة والمغاربة الذين قبلوه على استحياء ودون رفض واضح أو صراع ملحوظ فإن قضاياها لدى المعاصرين تعددت وأثارت الصراع الواضح الذي ما يزال مداده متدفقا إلى اللحظة.

أن الموشح استمر وكان من دلائل استمراره ممارسة المحدثين له وسير المهاجرين وشعراء التفعيلة على نهجه. أن الأصول التي تنوعت في المشرق كلها تصب في أصل واحد هو الأصل العربي. أن الأصل الاسباني لم يكن قوياً بدلائله التي قامت على التخمين والقرض ومجرد الادعاء والظن.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- الإحاطة في اخبار غرناطة، تأليف: لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: محمد عبدالله عنان، ، الطبعة الثانية - 1973م ، دار مكتبة خانجي - القاهرة.
- الأدب الأندلسي من الفتح الى السقوط الخلافة، تأليف: د.احمد هيكل، دار المعارف - القاهرة، 1985.
- ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض، تأليف: شهاب الدين احمد بن محمد بن احمد بن يحيى - ابوالعباس المقري التلمساني، تحقيق: مصطفى السقا و ابراهيم ابياري و عبدالعظيم شلبي، الجزء الأول ، دار مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، 1939.
- الإشارة الى أدب الوزارة ، تأليف: لسان الدين ابن الخطيب السلماني، تحقيق: د.محمد كمال شبانة، الطبعة الأولى - 2006م، دار المؤسسة الحديثة للكتاب - طرابلس.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تأليف: محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني، تحقيق: محمد حسن حلاق، جزء الثاني، الطبعة الأولى 2006، دار ابن كثير - دمشق بيروت.
- البناء الفني للموشح النشأة والتطور، رسالة تقدمت بها : كوثر هاتف كريم، 2002.
- تاريخ الأدب الأندلسي، تأليف : د.محمد زكريا عناني، دار المعرفة الجامعية - جامع الإسكندرية، 1999م .
- 12- موشحات لسان الدين بن الخطيب، تأليف: عبدالحليم حسين الهروط، الطبعة الثانية - 2012، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان - الأردن.
- توشيح التوشيح، تأليف: صلاح الدين بن ابيك الصفدي، تحقيق: البير حبيب مطلق، الطبعة الأولى، 1989، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع.
- جيش التوشيح ، تصنيف لسان الدين ابن الخطيب ت 776هـ ، تحقيق: هلال ناجي، مطبعة المنار - تونس.
- 10- دار الطراز في عمل الموشحات ، تأليف: القاضي السعيد ابي القاسم هبة الله بن جعفر ابن سناء الملك، تحقيق: د.جودة الركابي، دمشق ، 1949.
- دفاتر اندلسة في الشعر في والنثر والنقد والحضارة والاعلام، تأليف: د.يوسف عيد، الطبعة الأولى، 2006م، دار مؤسسة الحديثة للكتاب - طرابلس.
- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، تأليف: ابن الخلدون، جزء السابع، الطبعة الأولى - 2001، دار الفكر - لبنان.
- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، تأليف: ابي الحسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق: د.احسان عباس، دار الثقافة بيروت - لبنان
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تأليف: محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم المخلوف، الجزء الأولى، الطبعة الأولى 2003، دار الكتب العلمية - لبنان.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف: لإمام شهاب الدين ابي الفلاح عبدالحى بن احمد بن محمد العسكري الحنبلي الدمشقي، تحقيق : محمود الأرنؤوط، المجلد الثامن ، الطبعة الأولى 1988، دار ابن كثير - دمشق.
- العصر الأندلسي تاريخ وحضارة الاندلس، تأليف: بروفييسور محمد حسن عيروس، الطبعة الأولى، 2012، دار الكتاب الحديث.
- الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب، تأليف: د.عبدالعزيز بن عبدالله ، الجزء الثاني - 1953 ، دار الطباعة المغربية، تطوان - المغرب 1953.
- فن الموشحات الأندلسية : مقارنة أدبية وفنية، بحث لنيل درجة الماجستير - كلية الآداب ، سماح محد بلاط، 2019
- في الأدب الأندلسي، تأليف: محمد رضوان داية، الطبعة الأولى - 2000م، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان

- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدجاج، تأليف: احمد بابا تنبكتي، تحقيق: أ.محمد مطيع. جزء الثاني، دار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، الطبعة الأولى - 2000م.
- لسان الدين ابن الخطيب عصره وبيئته حياته وآثاره، تأليف: احمد حسن بسبع، الطبعة الأولى - 1994م، دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت.
- لسان العرب ، تأليف: ابوالفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، دار الصادر - بيروت ، الطبعة الثالثة، 2004.
- منهج البحث الأدبي، تأليف: د.علي جواد الطاهر ، مكتبة العاطية، بغداد، الطبعة السابعة، 1986.
- الموشحات الأندلسية، تأليف : د.محمد زكريا عناني، الطبعة الأولى، 1980.
- موشحات لسان الدين ابن الخطيب، تأليف: د.عبدالحليم حسين الهروط، الطبعة الثانية، 2012، دار جرير - اردن.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تأليف: الشيخ احمد بن المقرئ التلمساني، مجلد 5، تحقيق: د.احسان عباس، دار الكتب العلمية - لبنان.

Summary of research

After being satisfied with this research by Dr(SAFA JEMAL DAWD)God preserve her, under this title (The Book of the Army of Tawsheeh by Al-San Al-Din Bin Al-Khatib, Its Subject, Objective, and Methodology) to the graduation project in the fourth stage of study with a bachelor's degree, I did the research And the effort to analyze and collect information on this research until I reach the essence of the book "Jaish al-Tawsheeh" by Lisan al-Din. I started with the introduction to this work that I did, and after that I wrote the preface. And then what happened to him until his death .So my research was divided into three sections, the first section: I dealt with the subject of the tawshih army and its subject in his book, and about the muwashshahs, and other than that, what is the muwashshah, and what he intended for the compilation of this book, and dealt with some of the poets and looking at the orientalist and westerners and their understanding of the tawshih, and their translation works, and then the conditions for choosing The muwashshah in the old books, Ibn Bassam's position on the muwashshah, and the use of the term "muwashshah" for the first time in singing by a "Kindi ." In the second topic, I dealt with the goal of Lisan al-Din in his book The Army of Tawsheeh, because each book has a special goal in its authorship, and the recognition of the Easterners and Moroccans thanks to the Andalusians in inventing the art of tawsheeh. The third topic, which is the last, is the approach of Lisan al-Din in composing this book, a scientific method and a beneficiary.

پوختهی توژیینهوه

دوای قهبول کردنی توژیینهوه که له لایهن دکتوره (صفاء جمال داود) خودا پایهداری بکات، لهژیرو ناویشانی (کتاب جیش التوشیح للسان الدین بن الخطیب، مادته وهدفه و منهجه) بو پروژهی دهرچوونم له قوناغی چوارهمی خویندیم به کالوریوس، ههلسام به توژیینهوه و ههولدان بو شیکردنهوه و کوکردنهوهی زانیاری لهسهر ئهم توژیینهوهیه تا بگهم به ناوهوکی پهرتوکهکهی "لسان الدین" که توژیینهوهمان لهسهریهتی.

سهههتا پێشهکیهکم پێشکەش کردوه، پاشان بهسهرهتایهک دهستم پیکردوه که باس لهژیانی "لسان الدین" دهکات، لهدایک بوونی و گهشهکردنی و پێگهی خانهوادهکهی لهرووی زانستهوه، و لهرووی گهشت کردنییهوه خوی، وه پهیههندی لهگهڵ دهسهلاتدارانهوه، وه چهند روداویکی ژیانی، وه ئاستی زانستی و ناوی ههندی له ماموستاکانی، پاشان چۆنیهتی مردنهکهی.

توژیینهوهکهم دابهشکردوهته سههه سی بهش، بهشی یهکهمیان: باسی بابهتیانهی کتیبهکهم کردوه، وه لهبارهی موهشهحاتهکان، وهشیکردنهوهی واتای "موشح"، وه باسی شاعیرهکانم کردوه، و تیروانیی خورههلاتیهکان و خورئاواییهکان و تیگههیشتیان بو "توشیح"، وه ههلوستهی "ابن بسام" لهبارهی "موشح"، وه بهکارهینانی دهستهواژهی "موشح" بو یهکهمجار.

توژیینهوهی دووم باسمان له ئامانجی "لسان الدین" کردوه له نوسین و کوکردنهوهی کتیبهکهی، وه دان نانی خورههلاتیهکان و خورئاواییهکان به فهزلی ئهههلووسیهکان لهدههینانی هونهری "توشیح".

توژیینهوهی سێیهم و کوتایی باسمان له مهنهههج و بههنامهی لسان الدین کردوه له دانانی کتیبهکهی، لهرووی زمانهوانیشهوه روونمان کردوتهوه، وه چهند خالیکیان باسکردوه له ئامانجهکهی.